العرب
الثلاثاء 2021/11/02
السنة 44 العدد 12228

باكستان تواجه التشدد الديني في أشد تجلياته

الحكومة غير قادرة على السيطرة على طالبان ومكافحة التشدد والعنف السياسي

تسير باكستان نحو ترسيخ التشدد الديني علنا وتعزيز نفوذ الإسلام السياسي، محاولة في ذلك الحفاظ على علاقاتها مع طالبان والدول الداعمة للتشدد الديني بالإضافة إلى علاقاتها مع الدول الإسلامية التي تتبع نهجا سياسيا معتدلا والتي توفر لها دعما في مواجهة أزماتها وللحد من النفوذين التركي والإيراني في البلاد، ومن بينها المملكة العربية السعودية التي جددت دعمها لإسلام آباد اقتصاديا خلال الشهر الماضي.

واجهة للتعصب الديني

واشنطن - يشهد التيار المحافظ السني المتشدد ظرفا ملائما، فبعد ثلاثة أشهر فقط من إعلان طالبان انتصارها في أفغانستان، تتحرك باكستان وهي ثاني أكبر دولة ذات أغلبية مسلمة من حيث عدد السكان للانضمام إلى كابول لتصبح القاعدة الأمامية للتعصب الديني والتفوق الإسلامي.

وبذلك تقف باكستان جنبا إلى جنب مع أفغانستان ودول مثل تركيا وإيران للمناداة بأشكال من الإسلام السياسي والالتزام العلني بالدين على عكس دول الخليج وحركات مثل نهضة العلماء الإندونيسية التي تتبنى بدرجات متفاوتة تفسيرات متسامحة وتعددية للإسلام.

وجود تكتيكي

يقول المحلل السياسي والخبير في قضايا الشرق الأوسط جيمس دورسي إن كل ما سبق ذكره لم يمنع باكستان من إقامة علاقات مع طرفي الخلاف، مستفيدة في ذلك من تحول ساحات القتال في الشرق الأوسط، حيث يسعى الخصوم لتخفيف حدة التوترات لتجنب خروج الصراعات عن السيطرة.

وفي أحدث خطوة أحيت المملكة العربية السعودية دعمها المالي لباكستان بإيداعها 3 مليارات دولار في البنك المركزي وما يصل إلى 1.5 مليار دولار من إمدادات النفط مع مدفوعات مؤجلة، حيث علقت السعودية مساعداتها العام الماضي بسبب انتقادات باكستانية لعدم دعم المملكة لها في نزاعها مع الهند بشأن كشمير.

جيمس دورسي
الأوضاع ملائمة للمحافظين المتطرفين مع وجود طالبان

ومع ذلك فإن دعم المملكة المتجدد ناتج عن الرغبة في مواجهة توطيد العلاقات العسكرية والثقافية بين باكستان وتركيا، وكذلك علاقة باكستان مع طالبان إثر انتصار الجماعة في أفغانستان.

وأفادت التقارير أن باكستان تقدم دعما استخباراتيا وتقنيا لطالبان في حربها ضد تنظيم الدولة الإسلامية – ولاية خراسان. ويشعر المجتمع الدولي بالقلق بشأن الدولة الإسلامية، لكنه لم يكن مستعدا للتعامل مع طالبان علنا لمواجهة الجماعة الجهادية.

وأشار جاويد أحمد الذي كان سفيرا لأفغانستان لدى الإمارات العربية المتحدة حتى استيلاء طالبان على السلطة في صحيفة وول ستريت جورنال إلى أن باكستان كانت في وضع جيد لتحقيق ذلك بسبب "وجودها التكتيكي في وحدات طالبان، وخاصة شبكة حقاني المرتبطة بالقاعدة".

ونقلا عن الاستخبارات الأفغانية السابقة لحركة طالبان، قال أحمد إن لنظيرتها الباكستانية "شبكة معقدة من المخبرين في المدن الكبرى، بما في ذلك وكالات السفر المحلية والبنوك التجارية والمطاعم والفنادق والمخابز وسائقي سيارات الأجرة".

ويرى دورسي أن الدعم السعودي المتجدد يضع التطلعات السعودية لقيادة العالم الإسلامي في احتضانها للتسامح والاعتدال موضع شك، حيث جاء ذلك بعد يومين من استسلام الحكومة الباكستانية لمطالب جماعة متشددة يفترض أنها محظورة وتدعو إلى تطبيق صارم لقانون التجديف القديم.

وتتنافس المملكة العربية السعودية على قيادة العالم الإسلامي والقدرة على التعريف بالإسلام في القرن الحادي والعشرين مع الإمارات العربية المتحدة وقطر ونهضة العلماء. وتبقى نهضة العلماء الفاعل الوحيد غير الحكومي في هذا المزيج والكيان الوحيد الذي اتخذ خطوات عملية لترسيخ مبادئ التسامح في الفقه الإسلامي.

وتحظى المنافسة بأهمية خاصة بالنسبة إلى المملكة التي شنت على مدى عقود أكبر حملة دبلوماسية عامة في العالم، حيث استثمرت حوالي 100 مليار دولار خارج حدودها لدعم المذاهب الإسلامية المحافظة المعادية لإيران. وجعل تاريخ باكستان منذ إنشاء الدولة في 1947 منها قصة النجاح الأولى للحملة التي صممت لمواجهة الإسلام الثوري الإيراني.

وسعى ولي العهد السعودي الأمير محمد بن سلمان منذ وصوله إلى السلطة في 2015 لتوجيه المملكة بعيدا عن دعمها العالمي للمحافظين من خلال خفض التمويل بشكل حاد، وتحرير بعض الأعراف الاجتماعية في الداخل، والسعي لاستبدال الهوية السعودية التي يغمرها الدين بأخرى تستند إلى القومية.

ولم يقنن الأمير محمد بن سلمان عند تطبيق ترويجه للتسامح الديني والحوار بين الأديان عبادة غير المسلمين وبناء دور العبادة لهم في المملكة.

معركة شاقة

تشكّل حزمة المساعدات السعودية المجددة شريان حياة مؤقتا لرئيس الوزراء الباكستاني عمران خان في الوقت الذي يسعى فيه لضمان استمرار الدعم من صندوق النقد الدولي لاقتصاد بلاده المضطرب.

ويرجح المحلل الأميركي أن يتطلّب استقرار الأوضاع المالية في باكستان وإصلاح اقتصادها معركة شاقة إذا لم يُصلح نظام التعليم في البلاد مع خلق بيئة تشجع على التفكير الإبداعي والحر. ويبدو أن تحركات خان الأخيرة مصممة لتحقيق العكس تماما.

وقد يكون تراجع الحكومة هذا الأسبوع عن اتفاق مع الإسلاميين المتشددين الذين هددوا باقتحام العاصمة، مما أدى إلى اشتباكات عنيفة قتل فيها أربعة ضباط شرطة وجرح حوالي 250 شخصا، شكّل علامة ظرفية ولكن ميول الحكومة واضحة.

وشكلت الاتفاقية الأولية نصرا لجماعة اليمين المتطرف ممثلة في حركة لبيك باكستان التي عززت موقفها المعلن كمدافع عن الإسلام والنبي محمد لإقناع الحكومة مرارا وتكرارا بتلبية مطالبها. وتستخدم الجماعة الاحتجاجات الجماهيرية التي تحاصر العاصمة الباكستانية إسلام آباد للضغط.

وحولت العباءة الدينية هذه الحركة إلى نسخة باكستانية من الحركات اليمينية المتطرفة والسياسيين الشعبويين في أوروبا وأماكن أخرى. وغرّد كاتب العمود مشرف زيدي قائلا "جعلت حركة لبيك باكستان من هذه الدعوة عقيدة دينية فوق النقد، لكن القلب النابض للحركة يكمن في الغضب الشديد الموجّه ضد النخب". وأضاف أن تأييد المجموعة كان "يستمد جذوره من منحى اجتماعي واقتصادي حقيقي".

ووافق وزير الداخلية شيخ راشد أحمد مؤخرا على إطلاق سراح أعضاء الجماعة من السجن، بمن فيهم المسؤولون عن عمليات القتل السابقة لموظفي إنفاذ القانون وكذلك زعيمها سعد رضوي وإلغاء تجميد حساباتها المصرفية.

وكان المطلب الوحيد الذي رفضته الحكومة هو أن تطرد باكستان السفير الفرنسي بسبب الرسوم الكاريكاتيرية للنبي محمد والتي نشرتها مجلة شارلي إيبدو الساخرة في 2015. وقال أحمد إن الحكومة ستعرض الأمر على البرلمان.

وهاجم متشددون مكاتب المجلة في باريس في عام 2015 وقتلوا 12 من موظفيها. ويبدو أن النسخة الباكستانية من عرب نيوز السعودية على الإنترنت تسعى لتقويض الغضب تجاه فرنسا من خلال الإبلاغ عن رغبة الشركات الفرنسية في الاستثمار في البنية التحتية للسياحة الباكستانية على الرغم من التقلبات في البلاد.

وقال راشد أحمد في تبريره لاستسلام الحكومة الأولي "ليس من واجب الدولة استخدام العصا".

ويقول دورسي إنه من غير المرجح أن يوحي أسلوب تعامل الحكومة مع الأزمة بالثقة في قدرتها إما على السيطرة على طالبان في أفغانستان كما يطالب شركاء باكستان، أو مكافحة غسيل الأموال وتمويل التشدد والعنف السياسي.

وبقيت باكستان منذ 2018 على القائمة الرمادية لمجموعة العمل المالي (فاتف)، وهي هيئة دولية لمكافحة غسيل الأموال وتمويل الإرهاب لأنها فشلت في تلبية معايير المجموعة.

ومع سعي حكومة خان لأسلمة التعليم الباكستاني وإنشاء هيئة لمراقبة المناهج الدراسية ووسائل التواصل الاجتماعي للمحتوى "التجديفي"، أشار الكاتب زاهد حسين إلى أنه "يبدو أن هناك فرقا بسيطا بين سياسة تشجيع التدين التي يتبعها تطرف حركة لبيك باكستان الديني وحكومة خان".

وحذّر من أن "سياسة الاسترضاء الحكومية قد زادت من التهديد الإرهابي للبلاد. وستكون للاستسلام للجماعات الإرهابية عواقب وخيمة للغاية على أمن البلاد واستقرارها".

ويرى المحلل الأميركي أنه مع وجود طالبان في كابول تصبح الأوضاع ملائمة للمحافظين المتطرفين والجهاديين.

بنكيران يخوض مهمة ترميم العدالة والتنمية

رأب الصدوع داخل الحزب مهمة شاقة بعد خسارة الاستقرار تنظيميا وسياسيا

الرباط - أثارت عودة عبدالإله بنكيران إلى رئاسة العدالة والتنمية المغربي أسئلة عن مدى قدرته على ترميم بيت الحزب بعد خسارته في الانتخابات الأخيرة وتباين المواقف بين قياداته، والتي وصلت ذروتها حد التراشق الإعلامي.

وفي الثلاثين من أكتوبر الماضي انتخب المؤتمر الاستثنائي للحزب بنكيران رئيس الحكومة الأسبق في الفترة الممتدة بين عامي 2011 – 2017 أمينا عاما له لولاية تمتد لأربع سنوات، بعد حصوله على 1012 صوتا من جملة 1252 عضوا بالمؤتمر.

وقبل ذلك رفض المؤتمر الاستثنائي للحزب المصادقة على طلب الأمانة العامة المستقيلة بتأجيل عقد المؤتمر العادي عاما واحدا بعد أن صوت 901 من أعضاء المؤتمر ضد قرار التأجيل، بينما صوت 374 آخرون لصالحه خلال أشغال المؤتمر.

مهمة صعبة في ظرف دقيق

والسبت نظم العدالة والتنمية الحزب المعارض ذو المرجعية الإسلامية مؤتمره الاستثنائي بالعاصمة الرباط لانتخاب قيادة جديدة بعد استقالة أمانته العامة برئاسة سعدالدين العثماني. كما اختار المؤتمر الذي استمر يومين نائبين لبنكيران هما جامع المعتصم وعبدالعزيز عماري، وعبدالحق العربي مديرا عاما للحزب، فضلا عن 15 عضوا بأمانته العامة (الهيئة التنفيذية).

وفي الثامن من سبتمبر الماضي أُجريت انتخابات تشريعية في المغرب تصدر نتائجها حزب التجمع الوطني للأحرار بمئة ومقعدين من أصل 395 بمجلس النواب (غرفة البرلمان الأولى) وشكل ائتلافا حكوميا، في حين مني العدالة والتنمية بهزيمة قاسية بعد حصوله على 13 مقعدا فقط مقارنة بـ125 في انتخابات 2016 بعد أن قاد الحكومة منذ 2011 للمرة الأولى في تاريخ المملكة.

وبعد انتخابه أمينا عاما للعدالة والتنمية دعا بنكيران مباشرة إلى العمل الجماعي لتجاوز التراجع الحاد في الانتخابات البرلمانية الأخيرة، معتبرا أن "الأهم هو أن الحزب حافظ على وحدته".

وقال "لست إقصائيا، صحيح أنا بشر وعندي حساسيات لكني سأشتغل مع الجميع، وسنتعاون من أجل حل المشاكل"، لكنه لم يخف إحباطه مما وصل إليه الحزب حين قال "لن أخفيكم أني لا أزال عاجزا عن استيعاب وضعية الحزب بعد الذي حصل في الانتخابات التشريعية".

وبانتخابه يعود بنكيران إلى المشهد السياسي بعد 5 أعوام من إعفائه من رئاسة الحكومة لمرة ثانية بعد أزمة سياسية استمرت أشهرا. وتعكس إعادة انتخابه حالة العجز التي وصل إليها الحزب الذي لم يعد قادرا على انتخاب زعيم من شأنه أن يعيد إليه التوازن والاعتبار السياسي خاصة أن بنكيران نفسه يحتاج، وفق رأي محللين، إلى إعادة ترميم صورته التي اهتزت خلال فترة توليه لرئاسة الحكومة. ويتساءل مراقبون للشأن المغربي إن كان بنكيران فعلا قادرا على تجاوز التحديات الكبرى التي ستواجهه في قيادة العدالة والتنمية الذي لم يعد شبيها بالحزب الذي قاده في ما مضى.

ويقول محسن مفيدي عضو المجلس الوطني (برلمان الحزب) إن "التحدي الأول المطروح أمام بنكيران هو تجميع الحزب بعد الهزات التنظيمية التي عرفها في المرحلة الأخيرة".

وأضاف أن الحزب لم يعرف استقرارا تنظيميا وسياسيا طيلة الفترة الماضية لذلك المطلوب تقوية وحدته وتماسك أعضائه.

عبدالحفيظ اليونسي
عودة بنكيران للعدالة والتنمية أملتها الحاجة إلى إنقاذ الحزب

محسن مفيدي
تجميع الحزب هو التحدي الأول أمام بنكيران

وتابع أن "التحدي الثاني هو إطلاق مسلسل تقييم المسار ككل، لأن الحزب شارك في الانتخابات التشريعية منذ سنة 1997، وقضى 14 سنة في المعارضة و10 سنوات في رئاسة الحكومة".

وأردف "24 سنة في مسار الحزب بحلّته الجديدة تحتاج إلى تقييم حقيقي وجريء وشجاع يسائل حتى الأسس التي انبنت عليها فكرة المشاركة السياسية".

وأوضح أن "بنكيران مطالب بإبداع حلول جديدة لأن متغيرات عديدة وقعت على المستوى الإقليمي والدولي والفعل السياسي للدولة".

ولفت البرلماني المغربي إلى أن التحدي الثالث أمام بنكيران هو الحفاظ على قوة الحزب وقوة حضوره النضالي، لأن الانكماش الذي حصل في حضوره التمثيلي لا يجب أن يتحول إلى انكماش في حضوره السياسي.

واعتبر عبدالحفيظ اليونسي أستاذ العلوم السياسية والقانون الدستوري بجامعة الحسن الأول أن "عودة بنكيران إلى قيادة الحزب أملتها الضرورة وفي سياق استثنائي بعد الهزيمة في الانتخابات، كما أملتها الحاجة إلى إنقاذ الحزب من فقدان حيويته وموقعه السياسي في العلاقة مع الدولة والمجتمع".

وذكر أن "الدلالة السياسية لانتخابه هي الرغبة في إعطاء مضمون سياسي ذي بعد نضالي خصوصا في القضايا التي يترافع بخصوصها الحزب".

وأردف الأكاديمي المغربي أنّ انتخاب بنكيران يدلّ تنظيميا على محاولة البحث عن الحفاظ على الأداة الحزبية، لكن ربما من خلال أطروحة جديدة بعناوين قادرة على تجميع أعضاء الحزب والحفاظ على دوره كمؤسسة وسطية.